الاستشراف في الدراسات السياسية والإستراتيجية.

Prospective for political and strategic studies.

إيمان دني

جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر، imene.denni.scspol@gmail.com

أمين البار

جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر، amine_dz@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2019/10/24 **تاريخ القبول:** 2019/11/05 **تاريخ النشر:** 2020/01/01

ملخص:

نحاول من خلال هذه الدراسة الوقوف على أهمية استشراف المستقبل بالنسبة لكل من للدراسات السياسية والإستراتيجية، وذلك باعتبار الدراسات المستقبلية تقوم على متابعة عدد من المتغيرات، وتتبع اتجاهاتها الحالية فيما يخص مختلف المجالات، واعتماداً على هذه البيانات يتم خلق سيناريوهات مختلفة للأحداث المستقبلية المحتملة، والتي يتم إدراجها في التخطيط الاستراتيجي الخاص بأي من تلك المجالات، والعلوم السياسية من المجالات الحيوية التي تسعى الى توظيف هذا النوع من الدراسات، مما يمكنها من تصور المستقبل ووضع أهم البدائل المتاحة أثناء صنع القرار السياسي وما يمكن أن يلعبه من توجيه للدراسات السياسية والإستراتيجية في مواجهة المستقبل والأزمات التي قد تواجه صانع القرار السياسي.

الكلمات المفتاحية: *الاستشراف؛ المستقبل؛ الدراسات السياسية والإستراتيجية.*

Abstract:

In This study attempts to identify the importance of forward looking for both political and strategic studies, considering that future studies are based on following up a number of variables and following their current trends in different fields. Based on these data, different scenarios are created for possible future events. Include them in the strategic planning of any of these areas, and political science is a vital area that seeks to employ this type of studies, enabling them to envision the future and develop the most important alternatives available during political decision-making and what can N play guidance for Political and Strategic Studies in the face of future crises that may face political decision-maker.

Key words: *forward; looking; future; political and strategic studies*

المؤلف المرسل: إيمـان دنـي. imene.denni.scspol@gmail.com

مقدمة:

ظهر مجال الدراسات المستقبلية خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها حيث تزايد معدل تغير كثير من مجالات الحياة بسبب التغيرات التكنولوجية مما دفع الحكومات والمؤسسات والأفراد إلى محاولة فهم هذا التغيير وإسقاطاته على المستقبل الذي سيعيشون فيه.

وقد تطور مفهوم المستقبل، كما تطورت النظرة إليه، مع تطور الفكر البشري من نظرة رسمته وخطّطت له قوى خارقة لا يمكن تجاوز تخطيطها « قدراً محتوماً » ترى المستقبل بأي حال من الأحوال، ولا يملك الإنسان حيالها خيارات تُذكر، إلى نظرة تنطلق من مبدأ الصيرورة وقدرة الحياة على التجدّد، وترى في المستقبل بعداً زمنياً يمكن التحكّم في صورته، فنحن كما قال بريغوجين " لا نستطيع التكهن بالمستقبل، لكننا نستطيع صناعته." (جروم 2003، ص. 13).

وعليه نطرح التساؤل ما هو دور الاستشراف في الدراسات السياسية والاستراتيجية ؟

ولمحاولة الاجابة عن هذا التساؤل قمنا بتفكيك التساؤل الجوهري إلى مجموعة من التساؤلات الفرعية حتى نتمكن من تفكيك واعادة تركيب متغيرات الإشكالية وعليه تفرعت الأسئلة التالية:

- ✓ ما هو مفهوم الدراسات الاستشرافية والمستقبلية؟
- ✓ ما هي أهم تقنيات الدراسات الاستشرافية والمستقبلية؟
- ✓ ما هو دور الدراسات الاستشرافية في توجيه الدراسات السياسية والإستراتيجية؟

وكإجابة مؤقتة عن هذه التساؤلات وضعنا الفروض التالية لتكون منطلق الدراسة:

- ✓ بما أن الدراسات الاستشرافية والمستقبلية تعنى بدراسة ما هو كائن وما سيكون، فإنها تسعى للوصول إلى نظرة تصورية للمستقبل واحتمالاته، ووضع البدائل الأنسب للمواقف التي قد تواجهنا؛
- ✓ تعتمد الدراسات الاستشرافية والمستقبلية في استقرائها واستشرافها للمستقبل على تقنيات لعل أهمها تقنية السناريو؛
- ✓ الدراسات السياسية والإستراتيجية تعتمد أساسا على التخطيط والتنبؤ بالمستقبل ووضع البدائل والاحتمالات وعليه فانها أكثر مجالات البحث حاجة لتوظيف الدراسات الاستشرافية والمستقبلية.

1- مفهوم الدراسات الاستشرافية والمستقبلية:

يؤكد برتراند دي جوفنال في كتابه فن التكهّن أن الدراسة العلمية للمستقبل « فن» من الفنون، ولا يمكن أن تكون علماً، بل ويصادر دي جوفنال على ظهور علم للمستقبل، فالمستقبل كما يقول ليس عالم اليقين، بل عالم الاحتمالات، والمستقبل ليس محدداً يقيناً، فكيف يكون موضوع علم من العلوم.

وقد أتاحت الحالة الراهنة طبقاً لماكهايل للمعرفة الإنسانية والعلمية والتكنولوجية للإنسان قدرة هائلة لاختيار مستقبله الجماعي والفردي على حدّ سواء (Cornish 19+97, p 187)، فليس ثمة مستقبل إلا كما نريده نحن وكل كائن حيّ كما يقول جان بول سارتر يخلق مستقبله وعليه أن يتحمّل المسؤولية كاملة عن هذا الخلق.

دافع الكثيرون عن علمية الأبحاث التي تجري وفقًا لهذا الانضباط، وبالتالي عن المصطلح الذي أطلقه فليتشم معللين ذلك بأن أبحاث المستقبليات تخلق أجسام معرفية نظامية مستخدمة في ذلك منهجيات في قوالب علمية دون تحديد مسبق للنتائج.

ومن أكبر المدافعين عن هذا المصطلح بنتيني مالسكا، والذي ادعى أنه رغم وجود معارضات ووجهات نظر قوية رافضة لإطلاق مثل هذا المصطلح بين باحثي المستقبل، إلا أنها

إلى حد ما متشابهة مع الهجوم الذي شنه بعض الصحفيين، والاقتصاديين، والعلماء على حقل المستقبليات ككل منذ بداية ظهوره والعمل به (الجميل2011 ، ص. 27).

فالمصطلح عند مالسكا به من الشمولية ما يمكنه من أن يضم في طياته كل شيء عن المعرفة المستقبلية، وهو كما عرفه : "كيفية اكتساب المعرفة المستقبلية بتقنيات مختلفة من أجل تحقيق هدف برجماتي، يخدم علم المعرفة في المقام الأول، وليس هذا فقط ولكنه أيضاً يجيب على أسئلة علم الأنطولوجيا ontology ، فعلى سبيل المثال : ماذا نعني بمعرفة المستقبل إلى أي حد يمكننا التنبؤ بالمستقبل؟ أم من المستحيل فعل ذلك؟ وعند أي حد يمكن أن تعد المعرفة المستقبلية حقل علمي مناسب متوازي مع الحقول العلمية الأخرى للمعرفة كالفيزياء والكيمياء وغيرها؟

فالأبحاث والدراسات المستقبلية لدى مالسكا تستقي معارفها من كل العلوم الأخرى، فالقاعدة الإمبريقية للحقل المعرفي للمستقبليات هي كل العلوم، وهو على عكس العلوم الأخرى التي تتشكل القاعدة الإمبريقية لها من نطاق العلم نفسه، وهو الأمر الذي يضفي قيمة مضافة على أبحاث المستقبليات، فنتائجها لا تمثل فقط اكتشاف معرفة حقيقية جديدة كما في باقي العلوم، ولكن تنتج ادراكات واستقراءات جديدة لجسد المعرفة.

في حين أن آخرين أكدوا على أن الأبحاث المستقبلية ليست بالعلم، مستشهدين على ذلك بعدم قدرتها تطبيق تجارب محكمة مثل التي تجري في العلوم الأخرى مثل الفيزياء والكيمياء، كما أنه بإمكان مجموعتين تتمتعان بقيم وخبرات ومعارف مختلفة استخدام نفس المناهج لاكتشاف

المستقبل لنفس الموضوع، ثم تأتي المخرجات بنتائج مختلفة، ويرى دوجوفنيل أن العديد من النقاشات حول هذا المصطلح قد تم تضخيمها، فقد شدد في كتاب له حول علم المستقبليات على أن هذا الأسلوب في التفكير يعني ضمنًا أن هناك علم للمستقبل قادر على أن يخبرنا تحديدًا بما سوف يحدث، وهو الأمر الذي أدى به لرفض هذا المصطلح كليًا، لأنه من شأنه أن يقنع الأفراد العاديين بأن التطورات المستقبلية يمكن استنتاجها علميًا بشكل مسبق، كما أنه أكد على أن الأمر مختلف كل الاختلاف عن الأحداث التي يمكن أن نتأكد من حدوثها مستقبلاً نتيجة لمعارفنا.

وهنا يمكننا الانتقال إلى مصطلح" المستقبل المحتمل، وهو المصطلح الذي صيغ في فرنسا في الخمسينيات بواسطة جاستون برجر ويستمد هذا المصطلح أهميته من كلٍّ من التعريف الذي أعطي له بالإضافة إلى انتشار استخدامه في كلٍّ من إفريقيا الفرانكفونية و أمريكا اللاتينية، إلا أنه تم استبداله لاحقًا بمصطلح التوقعات المستقبلية future forecasting الذي ذاع صيته في أوروبا، ويعرف المستقبل المحتمل على أنه دراسة

المستقبل لتطوير التوجه الاستراتيجي للعقل البشري للحصول على رؤية طويلة المدى من شأنها تحقيق المستقبل المرجو.

المستقبل المحتمل طَبَّقه لسنوات عدة مايكل جودت Michel Godet الذي أشار في كتاب له إلى أن هذا المصطلح نما تاريخيًّا وهو يبلور أهمية القيم البشرية والإلهامات التي تقود إلى أفعال، وهو الأمر الذي تحدث عنه أيضاً برجر في تعريفه لهذا المصطلح، وفقًا لجودت :المستقبل المحتمل يركز على الاختيارات والأفعال، ومن هنا يميز بين ما قبل الحدث وما بعد الحدث، وبالتالي الرابط بينهم يبين فهم الموقف خلال بيانات كمية وكيفية مما يجعل الاختيارات والمواقف تتم وفقًا لتخطيط استراتيجي. (الجميل2011 ، ص 29).

المستقبل المحتمل يعد المحور الذي ترتكز عليه باقي أفكار جودت، فهو يرى أنه يقدم حلاً وسطًا توافقيًّا بين الماضي والحاضر، وهو مكون معياري هام يقدم رؤية للمستقبل، وقد فسر جودت معظم الدراسات المستقبلية على جميع المستويات وفقًا لهذا المصطلح وتشارك معه في ذلك داتورDator ، الذي أوصى أيضاً بصلاحية أفكار برجر حتى الآن في كتاب له أصدره عام 1994.

في كتاب جمعيات الدراسات المستقبلية تساءل ويندل عن الاسم الذي يجب إطلاقه على الحقل الجديد، وناقش في فصل كامل الخيارات المتاحة ما بين الدراسات المستقبلية، وأبحاث المستقبليات، وحقل المستقبليات وغيرها، ثم وقع اختياره في النهاية على مصطلح الدراسات المستقبلية مع اعترافه بالصعوبة التي تواجه الباحثين في هذا الشأن.

ومما لاشك فيه أن الجمعية العالمية للدراسات المستقبلية ساعدت كثيرًا في جعل مصطلح الدراسات المستقبلية futures studies الأكثر انتشارًا واستخدامًا عالميًّا، وهي تعني بذلك اكتشاف ما سيحدث ومطابقته بما نرجو أن يحدث، وجاء هذا التعريف من فكرة أن العديد من الأشخاص حقيقة مهتمون بالتطورات المستقبلية للمجتمع بكل أبعاده، خلال سبعينيات القرن الماضي أشمل جون ماك هل John McHale كل أنواع التفكير في الدراسات المستقبلية مثل الاستقراء والتفكير المثالي وغيرها .(Masini 2010, p 187)

ورغم انتشار استخدام مصطلح الدراسات المستقبلية إلا أن البعض أمثال داتور Dator كتبوا تحت مسمى" البدائل المستقبلية نظرًا لاتساع المصطلح وما يحمله من تعددية البدائل والأطروحات للمستقبل الواحد.

وقد لقي هذا المصطلح رواجًا كبيرًا خاصة بعد عدد من الأحداث التاريخية ذات التأثير القوي مثل :أزمة النفط، والتي برهنت على أن نتائج الأبحاث المستقبلية المعتمدة والمستمدة فقط من الاستقراء غير كافية ولا تحقق النتيجة المرجوة منها.

ثم نأتي في النهاية على ذكر مصطلح البصيرة المستقبلية، والتي كما هو معروف تستخدم بشكل واسع حاليًا، ظهرت في ثمانينيات القرن الماضي، وهي الآن الأكثر استخدامًا ليس فقط بين من يعملون في النطاق العلمي، ولكن أيضا بواسطة العامة.

اتفقوا فيما بينهم على أهمية دور السياق الثقافي، والتاريخي، والاجتماعي الذي رُكب وأُستخدم فيه المصطلح، كما اتفقوا أيضاً على عدد من الخصائص البرجماتية الأساسية التي وإن اختلفت المسميات إلا أنها أساس أي عمل بحثي يكون محور اهتمامه في المقام الأول المستقبل بأبعاده المختلفة، وتعتبر الجمعية الدولية

للدراسات المستقبلية أن الدراسة العلمية للمستقبل هي مجال معرفي أوسع من العلم يستند إلى أربعة عناصر رئيسية هي: (زهران 1999، ص. 110).

- ✓ أنها الدراسات التي تركّز على استخدام الطرق العلمية في دراسة الظواهر الخفية.
- ✓ أنها أوسع من حدود العلم، فهي تتضمن المساهمات الفلسفية والفنية جنباً إلى جنب مع الجهود العلمية.
- ✓ أنها تتعامل مع مروحة واسعة من البدائل والخيارات الممكنة، وليس مع إسقاط مفردة محددة على المستقبل.
- ✓ أنها تلك الدراسات التي تتناول المستقبل في آجال زمنية تتراوح بين 5 سنوات و50 سنة.

وحيث أن العالم يفرض معطياته وظروفه على الخطاب المستقبلي، فقد وضع الكثير من الباحثين قوانين ثابتة تشكل قواعد أساسية يسير على نهجها كافة الأبحاث المستقبلية بغض النظر عن الظروف المتغيرة والأحداث المتقلبة، هؤلاء الباحثون أمثال جيم داتور و سردار وغيرهم، وسوف نقوم هنا باستعراض الأربعة قوانين التي وضعها سردار لتطبق على كافة أبحاث المستقبليات أيًّا ما كان المسمى الذي يطلق عليها:

-الدراسات المستقبلية مراوغة :

معظم المشاكل التي نواجهها هذه الأيام تتسم بالتعقيد، بالترابط، بالتناقض، وتقع في بيئات غير محددة، وفي صور سريعة التغير، فكما نَوَّه ودنجتون عام 1975 كان من بين أول من نادوا بضرورة أن تصبح الدراسات المستقبلية انضباط أكاديمي يدرس في الجامعات، ولكن مساهماته تم تجاهلها الآن كليًّا حيث أنه في وسط هذا الزخم من المشاكل المعقدة، فإن المشكلة المنفردة تمثل تعقيدًا في حد ذاتها، لذا فإن المجهودات لحل مشكلة منفردة أو عدد من المشكلات غالبًا ما يخلق مشكلات أخرى بطبيعة جديدة، غالبًا أي محاولة لاكتشاف المستقبل يضعنا في مواجهة مثل هذه المشكلات، والتي حلها قد يمثل درب من الاستحالة.

فليس من البخس أن نقول : أن الدراسات المستقبلية تتعامل مع مثل هذه المشكلات شديدة التعقيد، والمراوغة هنا تعني أنها تعالج هذه المشكلات شديدة التعقيد دائمًا بتقديم نهايات مفتوحة فهي ليست كأي انضباط علمي يقدم حل وحيد، بل تقدم إمكانيات للحل، والمراوغة هنا ليس في الخطاب المستقبلي الذي تستخدمه ولكن في طريقتها لمعالجة المشكلات في حد ذاتها، الدراسات المستقبلية أيضاً تتسم بالمراوغة بطريقة أخرى، فباحثي الدراسات المستقبلية باستطاعتهم استخدام أفكار وأدوات من أي انضباط آخر متى شاءوا فعل ذلك، فالدراسات المستقبلية متعددة الانضباطات والتخصصات، وهو ما تصنع منه وضعيتها المنهجية.

-الدراسات المستقبلية تؤكد على أهمية التعددية:

الفهم الكامل لإنسانيتنا يتطلب إدراكنا بوجوب التنوع والتعدد، وهذا ليس فقط الإبقاء على المستقبل الذي نتطلع إليه ولكن أيضاً لتنميته وازدهاره.

والأجيال المستقبلية بالتبادل تعرف وتقدر تنوع واختلاف بعضها البعض، فتقبل التعددية له أهميته البالغة في الدراسات المستقبلية. (الجميل2011 ، ص. 36).

أولاً، يتطلب التعرف على أن هناك طرق مختلفة لتكون إنسان، ومن ثم طرق مستقبلية مختلفة للتحليل الكلي للإنسانية المشتركة.

ثانيًا، يتطلب التقدير لكوننا نعرف، نكون، ونفعل، وهو ما خلق تعدد الثقافات على الأرض، فهناك نظم معرفية مختلفة، تاريخ مختلف، أشكال مختلفة للحياة، معايير مختلفة الإنجاز وطرق مختلفة للتكيف مع التغيير، الدراسات المستقبلية يجب أن تضع في اعتبارها هذه التعددية في إطارها المفاهيمي، النظري والمنهجي.

ثالثا: التعددية تمد الدراسات المستقبلية بحتمية أن المستقبل دائمًا سيظل مفتوح أمام كل الاحتمالات والإمكانات المتنوعة، من وجهه نظر التعددية، علم المعرفة للدراسات المستقبلية يبني اجتماعيًا مُشتَرِكًا في ذلك مع كل فاعلين المستقبل ممن سيتعاملون مع مخرجاته ويتأثروا بنتائجه.

-الدراسات المستقبلية تقوم على الشك :

القانون الثالث للدراسات المستقبلية عند **سردار** هو نتيجة طبيعية الأول والثاني، فالدراسات المستقبلية يجب أن تتسم بالشك في مواجهة الحلول البسيطة ذات البعد الواحد للمشاكل المعقدة، هذا بالإضافة إلى الأفكار، التخطيطات، التنبؤات، والتوقعات للتأكيد على أن الدراسات المستقبلية ليست رهينة لثقافة واحدة، سمة الشك في الدراسات المستقبلية لا تمثل نقد بهدف النقد، ولكن توجه نحو نهايات محددة، الدراسات المستقبلية ترفض فكرة التأكد من أحداث المستقبل، في حقل المستقبليات التأكد مستحيل لأن عدم اليقين، التعقيد، التغيرات المتسارعة مكونات أساسية للمستقبل، فكما يرى بيرو Pyrrho وهو يعد من أوائل علماء ما بعد الحداثة الشك دائم :الفرد الحكيم هو من يشك في كل شيء لأن حقيقة الأشياء لا يمكن إدراكها بواسطة العقل البشري، واليقين من الاستحالة بلوغه. (الجميل2011 ، ص 37).

ولكن الشك في الدراسات المستقبلية يمثل أداة للتغيير الإيجابي، ويمكن التعبير عنها بسؤال ماذا أيضاً من الممكن تحقيقه؟ ما هي الاحتمالات الأخرى؟ ما هو تأثير المستقبل القريب أو البعيد على الأفراد؟ وفي النهاية : من يستفيد من مخرجات المستقبل للتوجهات، التنمية، التخطيطات، التوقعات، السيناريوهات، والرؤى المعينة؟ الهدف النهائي لعدم يقين بيرو Pyrrho كان أخلاقي في المقام الأول، فقد اعتقد أن السعادة فقط ممكنة عند النزوع إلى الشك في الحقائق المطلقة، كما أن الدراسات المستقبلية أيضاً تتشكك في المفاهيم والمناهج والخطاب الذي تستخدمه، وهنا الشك يخدم الدراسات المستقبلية كأداة تمنعها من أن تكون وسيلة للتضليل والزيف.

-الدراسات المستقبلية لا مستقبل لها :

لم يقصد سردار Serdar المعني الحرفي لكلمة" لا مستقبل لها"، أي أنه لم يَعنِ أن الدراسات المستقبلية سوف تنتهي ولن يكن لها وجود في المستقبل البعيد، ولكن وصفه للدراسات المستقبلية بهذا الشكل جاء من خلال مغزى تقني محدد:

فحيث إننا لا نمتلك معرفة يقينية عن المستقبل، فإن تأثير كل الاستقراءات المستقبلية يمكن فقط أن يقيم حاضرًا، أما تقييم نتائجها مستقبلاً فهو غير ذو معنى، وبالتالي فنحن الآن نمتلك القدرة التي تمكننا من تقييم التنبؤات والتوقعات التي أجريت سابقًا ومعرفة مدى قربها أو بعدها عن واقعنا وهو الأمر الذي كان من غير الممكن حدوثه في وقت إجراء هذه الأبحاث، لذا فإن العلاقة الحقيقية بالخطاب المستقبلي تكمن في الحاضر، فكل الأنشطة المستقبلية – من التوقعات إلى وضع الرؤى– لها تأثير مباشر على الحاضر من حيث قدرتهم على تغيير

إدراك الأفراد وجعلهم أكثر وعيًا بالمخاطر والفرص القادمة، كما تحفزهم على فعل شيء ما وتجبرهم على الاختراع والابتكار، تشجعهم على التغيير والتكيف، تدفعهم إلى العمل الاجتماعي الجماعي، تعيد تموضعهم في المجتمع، تخبرهم بأهمية أو عدم أهمية نظمهم الثقافية والعقائدية، لذا في النهاية تكون الفحوى في تأثير الدراسات المستقبلية على الحاضر، قيمتها ونوعيتها هي التي فقط يمكن أن يحكم عليها في الحاضر، وهو القانون الذي يجبرنا على التأكد من نتائج الخطاب المستقبلي على حاضرنا ومستقبلنا الفوري.(Zianddin 2010, p p 180-181)

وبدون شك إن الدراسات المستقبلية هي حقول معرفية حديثة جداً، ذلك أنها نشأت في الغرب المعاصر على تنوعه جغرافياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً، والاهتمام بهذه القضايا متزايد ومستمر في اهتمامات ونخبة العرب، إنه يمثل بعد أساسي من أبعاد الدولة والعلم والنخبة في إطار المجتمعات الغربية، فارتباطه بالاقتصاد والعلم والتكنولوجيا والسياسة والثقافة ونمط الحياة والزمن يضفي عليه صفة الشمولية.

2- ماهية تقنية السيناريو في الدراسات المستقبلية.

2.1-تعريف السيناريو :

وقد اتسمت الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين بازدهار التخطيط الاستراتيجي باستخدام السيناريوهات، خاصة في الشركات العالمية الكبرى للطاقة، مثل: شل، وإي.إل.إف، و إي .دي .إف، بسبب الصدمات النفطية السابقة واللاحقة، كما استخدم في إعادة تنظيم مجموعة إكسا الفرنسية للتأمين. (ميشال، وقيس، 2007، ص. 17).

السيناريو وصف لوضع مستقبلي ممكن أو محتمل أو مرغوب فيه، مع توضيح لملامح المسار أو المسارات التي يمكن أن تؤدى إلى هذا الوضع المستقبلي، وذلك انطلاقاً من الوضع الراهن أو من وضع ابتدائي مفترض، والأصل أن تنتهي كل الدراسات المستقبلية إلى سيناريوهات، أي إلى مسارات وصور مستقبلية بديلة، فهذا هو المنتج النهائي لكل طرق البحث المستقبلي، ولهذا فإن بعض المستقبليين يعتبرون السيناريو الأداة التي تعطي للدراسات المستقبلية نوعاً من الوحدة المنهجية، وذلك بالرغم من أن الطرق التي قد تستخدم في إنتاج السيناريوهات تتنوع تنوعاً شديداً.

وعموماً، فإن السيناريوهات تصف إمكانات بديلة للمستقبل، وتقدم عرضاً للاختارات المتاحة أمام الفعل الإنساني، مع بيان نتائجها المتوقعة بإيجابياتها وسلبياتها، وقد ينطوي تحليل السيناريوهات على توصيات ضمنية أو صريحة حول ما ينبغي عمله، ولكن ذلك يتوقف على التوجه الذي يأخذ به واضعو السيناريوهات، أي ما إذا كان توجهاً استطلاعياً أم توجهاً استهدافياً (لعيسوي 2000، ص 20).

وتقنية السيناريوهات تدخل ضمن إطار الأدوات المنهجية الأكثر استعمالا في الدراسات المستقبلية، وكغيرها من الأدوات المنهجية، فإن هذه التقنية لا تحدد بدقة متى وكيف تحدث ظاهرة معينة في المستقبل، ولكنها تحاول تحديد المسارات العامة للظواهر الاجتماعية والمتغيرات المتحكمة في كل مسار من هذه المسارات (عبد الفضيل 2012، ص 1012)، طريقة تحليلية احتمالية تمكن من تتبع المسار العام لتطور الأحداث والظواهر (Sergiev 1978, p 78.). انطلاقا من وضعها وحالتها الحالية، وصولا إلى رصد سلسلة من التوقعات المستقبلية لهذه الأحداث والظواهر، ومن ثم يمكن القول أن السيناريو هو عبارة عن لعبة فرضيات تمكن من فهم التحولات البنيوية التي قد يتخذها تطور نسق معين.(سعد الدين وآخرون 1982، ص. 178).

والسيناريو أسلوب من أساليب استشراف المستقبل التي أصبحت ضرورة في العصر الحديث، لما لها من قيمة في تصور الاحتمالات الممكنة للمستقبل في المجتمعات المختلفة .

ويمكن تعريف السيناريو في أبسط صورة على أنه:

- ✓ وصف لوضع مستقبلي ممكن الحدوث عند توافر شروط معينة في مجال معين.
- ✓ مجموعة من الافتراضات المتماسكة لأوضاع مستقبلية محتملة الوقوع في ظل معطيات معينة. تنبؤ مشروط يركز على حركة المتغيرات الرئيسية ودورها في تشكيل صورة المستقبل حيث يبدأ التنبؤ بمجموعة الافتراضات المحددة مسبقا حول المستقبل.
- ✓ أسلوب يعتمد على الابتكار إلى درجة ما في صياغة مستقبل الظاهرة. (أساليب الدراسات المستقبلية 15 أفريل 2016).

وفي ضوء ما سبق يمكن القول أن السيناريو يعتمد في التنبؤ بمستقبل الظاهرة والتعرف على تاريخ الظاهرة والكشف عن طبيعة التأثيرات المتبادلة لهذا التاريخ ومجموعة القوى التي شكلته، والتي يحتمل أن تؤدى إلى حدوثها في المستقبل.

2.2-أنماط وأساليب للدراسات المستقبلية :

أ-النمط الأول: هو النمط الاستطلاعي أو الاستكشافي Exploratory Type ، ويهدف أساسا إلى استكشاف صورة المستقبل المتوقع أو المحتمل، أو المستقبل الممكن تحقيقه.

ب-النمط الثاني : هو النمط المعياريNormative Type ، وفيه يتخطى الباحث المستقبل الممكن تحقيقه إلى رسم صورة المستقبل في تحقيقه وتتعدد أساليب الدراسات العلمية للمستقبل ويعتمد ذلك على :

- ✓ درجة انتشار استخدام تلك الأساليب في البحوث التربوية.
- ✓ ملائمة منهجية الدراسة للأسلوب المتبع.
- ✓ تأكيد معظم الأدبيات على تلك الأساليب.

ومن أساليب الدراسات المستقبلية ما يأتي:

أ-أسلوب دلفي : وهو أسلوب حدسي منظم، ويعتمد على مشاركة جماعية للتنبؤ بالمستقبل، ويستخلص المعلومات من عدة أشخاص من ذوى الكفاءة من غير أن يقع أحدهم تحت التأثيرات التي تحول بينه وبين إبداء الرأي بحرية وموضوعية.

ب-أسلوب المحاكاة : وهو أسلوب استطلاعي يعتمد أساسا على التنبؤ بالمستقبل من خلال تصميم نموذج يتم الاحتذاء به في رسم صورة مستقبلية للظاهرة.

ج-أسلوب بيرت Program Evaluation and Review Technique : (P E R T) و الذي يعتمد أساسا على تصور علاقات تتابعية بين النشاطات المختلفة مع مراعاة أن يقسم المشروع إلى إعداد من الأنشطة المستقلة التي تتابع بشكل معين إلى أن يتم تنفيذ المشروع كله مع تحديد الوقت الذي يتم في أثنائه تنفيذ المشروع.

د-أسلوب تحليل النظم : وهو يركز على حل مشكلات الواقع كماً وكيفاً، كما يسمح بالتخطيط الأمثل لها واتخاذ أفضل القرارات بشأنها مستخدماً أساليب فنية لتحليل الظاهرة موضوع الدراسة وصولاً إلى أفضل مردود بأقل جهد ممكن وأقصر وقت. (أساليب الدراسات المستقبلية 15 أفريل 2016).

2.3-أنواع السناريوهات:

توجد السيناريوهات في أشكال مختلفة ذات استخدامات متنوعة ومنها:

أ-سيناريوهات استطلاعية : وتعتبر نقطة البدء في هذه السيناريوهات الواقع القائم والقوى المؤثرة فيه أو التي أدت له، وعلى هذا النحو يكتب السيناريو الاستطلاعي الذي يحدد ملامح صورة المستقبل.

ب- سيناريوهات معيارية : وتعتبر نقطة البدء في هذه السيناريوهات وضع مجموعة من الأهداف التي يستهدف تحقيقها في المستقبل، وعلى هذا النحو يكتب السيناريو المعياري لوصف مستقبل مرغوب فيه للمساعدة على صنعه أو تحقيقه.

وتجمع أبرز مدارس الدراسات المستقبلية على تقسيمها إلى ثلاثة أنواع: (بوقارة 21 جوان 2004، ص.ص 194-195).

ج-السيناريو الاتجاهي : وهو يتعلق باستمرار الوضع الراهن وما به من تفاؤل أو تشاؤم مع العجز على التغيير.

د -السيناريو الإصلاحي : وهو يتعلق بإدخال بعض الإصلاحات بقصد الوصول بالاتجاهات الحالية نحو انسجام أكثر من أجل إنجاز حد أدنى من الأهداف التفاؤلية.

هـ-السيناريو التحويلي : وهو يتعلق بإحداث تحولات جذرية عميقة في المجتمع بناءا على خبرة الماضي وتجربة الحاضر.

كما يوجد تصنيف ثالث للسيناريوهات على النحو الآتي:

أ-السيناريو المرجعي : وهو يمثل استمرار الوضع القائم.
ب- سيناريو الانهيار : وهو يمثل عجز النظام عن الاستمرار أو فقدانه القدرة على الاستمرار.
ج -سيناريو الماضي : وهو مبنى على العودة إلى عصر الازدهار القديم.
د -سيناريو التحول الجوهري : وهو مبنى على حدوث نقلة نوعية في المجتمع سواء كانت نقلة اقتصادية أو تكنولوجية. (أساليب الدراسات المستقبلية 15 أفريل 2016).

وتتضح أهمية السيناريوهات فيما يلي:

- ✓ أن دراسة المستقبل من خلال السيناريوهات، تكشف لنا الاحتمالات والإمكانات والخيارات البديلة التي تنطوي عليها التطورات المستقبلية .
- ✓ أن دراسة المستقبل من خلال وضع السيناريوهات عبارة عن عمل توجيهي أو إرشادي، فهي ترشد المسئولين عن اتخاذ القرار إلى ما هو ممكن وما هو محتمل، كما ترشدهم إلى نوع التغير الذي يمكن إحداثه وهل هو تغير جذري أو تطويري.

✓ أن دراسة المستقبل من خلال السيناريوهات تكشف لنا واقع هذا المجتمع والتنبؤات المتوقعة له وللسيناريوهات الجيدة عدة مواصفات من أهمها ما يلي:

1-أن يتصف السيناريو بالاتساق الداخلي أي بالتناسق بين مكوناته، ويعني ذلك البعد عن أي تناقضات بين مكونات السيناريو.

2-أن يكون إعداد السيناريوهات محدوداً بحيث تتضح الاختلافات والتمايزات فيما بينها، فعند تضمين الدراسة المستقبلية لأكثر من أربعة سيناريوهات قد يؤدى إلى قدر من الإرباك والالتباس في عمليات التحليل وعرض النتائج. كما أن تضمين الدراسة المستقبلية لسيناريو واحد يتضمن نفس فكرة المستقبلات البديلة التي مثلت أسس الدراسات المستقبلية .

3-أن يكون السيناريو له فائدة في التخطيط المستقبلي بما يعين على تحقيق أهداف مستقبلية معينة .

4-أن يكون السيناريو واضح الأهداف كي يستفيد منه المسئولون في المجالات المختلفة (أساليب الدراسات المستقبلية 15 أفريل 2016).

3-أهمية وأهداف الدراسات الاستشرافية والمستقبلية في الدراسات السياسية والاستراتيجية.

يمكن أن نقول بصفة عامة أن غاية الدراسة المستقبلية هي توفير إطار زمني طويل المدى لما قد نتخذه من قرارات اليوم، ومن ثم العمل، لا على هدى الماضي، بل العمل وفق نظرة طويلة المدى وبأفق زمني طويل نسبيًا، فهذا أمر تمليه سرعة التغير وتزايد التعقد وتنامي اللايقيني في كل ما يحيط بنا، وذلك فضلاً عن اعتبارات متصلة بالتنمية والخروج من التخلف.

وفي كتابه تفكير جديد لألفية جديدة، يعترف سلوتر بأن إطلاق صفة متعدد التخصصات على الدراسات المستقبلية وصف دقيق، ومجال جديد من الدراسات الاجتماعية هدفه الدراسة المنظمة للمستقبل) Richard, 1996, p 7)

من جهة أخرى، فإن ما تتيحه الدراسات المستقبلية من إضفاء طابع مستقبلي طويل المدى على تفكيرنا، إنما هو علامة مهمة من علامات النضج العقلي والرشادة في اتخاذ القرارات، ذلك أن ما نتخذه من قرارات اليوم، وما نقوم به من تصرفات في الحاضر سوف يؤثر بصورة أو بأخرى على مستقبلنا ومستقبل أبنائنا من بعدنا، وإذا أردنا لهذا المستقبل أن يكون مقبولاً من وجهة نظرنا، فعلينا أن نتخذ قراراتنا اليوم آخذين في الاعتبار النتائج والتداعيات المحتملة لهذه القرارات على مدى زمني طويل، وليس فقط على المدى القصير أو المتوسط، وهنا تساعدنا الدراسات المستقبلية في استطلاع هذه النتائج والتداعيات على المسارات المستقبلية، فإذا كانت النتائج والتداعيات تسهم في تشكيل المستقبل المرغوب فيه، فهو بالأمر الجيد، وإذا لم تكن تسهم في ذلك، فإننا نسعى لتعديل هذه القرارات حتى تأتي نتائجها وتداعياتها متوافقة مع المستقبل الذي نريده، وإذا تم ذلك، فإننا نكون قد شاركنا بشكل إيجابي في صنع المستقبل، بدلاً من أن ننتظر في سلبية مستقبلاً تأتي به المقادير، أيًا كانت صورته، أو بدلاً من أن نقنع بالتواؤم أو التكيف مع ما قد يقع من أحداث مستقبلية، فالدراسات المستقبلية تساعدنا على التحكم في المستقبل، وجعله أفضل بدرجة ما مما لو كنا قد قعدنا في انتظار وقوع هذا المستقبل وأهملنا التفكير في مساراته البديلة المحتملة الوقوع.

وبشكل أكثر تحديدًا، يمكن القول أن الدراسات المستقبلية تساعدنا على صنع مستقبل أفضل، وذلك بفضل ما تؤمنه من منافع متعددة، من أهمها ما يلى : (الجميل2011 ، ص 37).

اكتشاف المشكلات قبل وقوعها، ومن ثم التهيؤ لمواجهتها أو حتى لقطع الطريق عليها والحيلولة دون وقوعها، وبذلك تؤدي الدراسات المستقبلية وظائف الإنذار المبكر، والاستعداد المبكر للمستقبل، والتأهل للتحكم فيه، أو على الأقل للمشاركة في صنعه.

إعادة اكتشاف أنفسنا ومواردنا وطاقاتنا، وبخاصة ما هو كامن منها، والذي يمكن أن يتحول بفضل العلم إلى موارد وطاقات فعلية، وهذا بدوره يساعد على اكتشاف مسارات جديدة يمكن أن تحقق لنا ما نصبو إليه من تنمية شاملة سريعة ومتواصلة، ومن خلال عمليات الاكتشافات وإعادة الاكتشاف هذه تسترد الأمة الساعية لتنمية الثقة بنفسها، وتستجمع قواها وتعبئ طاقاتها لمواجهة تحديات المستقبل.

بلورة الاختيارات الممكنة والمتاحة وترشيد عملية المفاضلة بينها،(منصور، ص40) وذلك بإخضاع كل اختيار منها للدرس والفحص، بقصد استطلاع ما يمكن أن يؤدي إليه من تداعيات، وما يمكن أن يسفر عنه من نتائج، ويترتب على ذلك المساعدة في توفير قاعدة معرفية يمكن للناس أن يحددوا اختياراتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ضوئها، وذلك بدلاً من الاكتفاء - كما هو حاصل حاليًا - بالمجادلات الأيديولوجية والمنازعات السياسية التي تختلط فيها الأسباب بالنتائج، ويصعب فيها تمييز ما هو موضوعي من ما هو ذاتي.

وقد أكد ألفين توفلر في كتابه خرائط المستقبل أن الدراسات المستقبلية كانت وراءها بواعث براغماتية، (توفلر 1987، ص 227)، وقد بدأت في الولايات المتحدة الأمريكية مع نهاية الحرب العالمية الثانية، لخدمة أغراض عسكرية، ثم توسعت لتشمل قطاعات واسعة أخرى.

وإذا سار الأمر على هذا النحو، فإن الدراسات المستقبلية تسهم في ترشيد عمليات التخطيط واتخاذ القرارات من بابين : الباب الأول، هو باب توفير قاعدة معلومات مستقبلية للمخطِّط وصانع القرار، أي توفير معلومات حول البدائل الممكنة وتداعيات كل منها عبر الزمن، ونتائج كل منها عند نقطة زمنية محددة في المستقبل، والباب الثاني، هو باب ترشيد ما يجب أن يسبق عملية اتخاذ القرارات بشأن الخطط والسياسات من حوار وطني على مستوى النخب وعلى مستوى الجماهير بقصد بلورة القضايا وبيان الاختيارات الممكنة، وما ينطوي عليه كل اختيار من مزايا أو منافع ومن أعباء أو تضحيات، إذ تؤمن التنبؤات المشروطة التي تقدمها الدراسات المستقبلية فرصا أوسع للاتفاق أو للاختلاف على أسس واضحة، كما أنها تمكن من المساعدة في حسم بعض أوجه الخلاف من خلال إعادة صياغة الشروط الابتدائية لبعض أو كل البدائل محل النقاش، وإعادة التحليل والحسابات في ضوء الشروط المعدلة، ومن ثم الدخول في دورات نقاش متتابعة لتقريب وجهات النظر والتراضي على اختيار محدد، ومثل هذا الأسلوب في اتخاذ القرارات بمشاركة شعبية واسعة يمثل نقلة نوعية كبرى في طبيعة الحوارات الوطنية التي كثيرًا ما تفتقر إلى الحوار حقيقة، وغالبًا ما تكون مقصورة على تسجيل المواقف أو تبادل الاتهامات. (الجميل 2011، ص 41).

ولو سمح للدراسات المستقبلية بأن تؤدي مثل هذا الدور في تنوير وتفعيل المناقشات حول القرارات الوطنية، فإن الحوار الوطني سوف يكتسب حينئذ الكثير من السمات الحميدة للنقاش العلمي الذي عادة ما تكون مصادر الخلاف فيه واضحة، والذي يمكن فيه التوصل إلى حلول عملية من خلال دورات متعددة للتصحيح المتتابع أو الاقتراب التدريجي من الحل الصحيح، وتحقق الدراسات المستقبلية ما أشرنا إليه من أغراض من خلال

إنجاز عدد من المهام المحددة، وقد يكون من المناسب أن نبدأ بالتعريف الذي قدمه أحد أعلام الدراسات المستقبلية **ويندل بيل** للمهام التي ينشغل بها **حقل** الدراسات الم ستقبلية، وهي :" **اكتشاف أو ابتكار، وفحص وتقييم، واقتراح مستقبلات ممكنة أو محتملة أو مفضلة** "، وبشكل أكثر تحديدًا.

3.1-وظائف وأهداف الراسات المستقبلية:

يذكر **بيل** تسع مهام محددة للدراسات المستقبلية، وهي:

- ✓ إعمال الفكر والخيال في دراسة مستقبلات ممكنة، أي بغض النظر عما إذا كان احتمال وقوعها كبيرًا أو صغيرًا، وهو ما يؤدي إلى توسيع نطاق الخيارات البشرية.
- ✓ دراسة مستقبلات محتملةprobable futures ، أي التركيز على فحص وتقييم المستقبلات الأكبر احتمالاً للحدوث خلال أفق زمني معلوم، وفق شروط محددة مثلاً : بافتراض استمرار التوجهات الحالية للنظام الاجتماعي - السياسي، أو بافتراض تغييره على نحو أو آخر، وغالبًا ما تسفر هذه الدراسة عن سيناريوهات متعددة.
- ✓ دراسة صور المستقبلimages of the future ، أي البحث في طبيعة الأوضاع المستقبلية المتخيلة وتحليل محتواها، ودراسة أسبابها وتقييم نتائجها، وذلك باعتبار تصورات الناس حول المستقبل تؤثر فيما يتخذونه من قرارات في الوقت الحاضر، سواء من أجل التكيف مع تلك التصورات عندما تقع، أو من أجل تحويل هذه التصورات إلى واقع. (الجميل2011 ، ص 42).
- ✓ دراسة الأسس المعرفية للدراسات المستقبلية، أي تقديم أساس فلسفي للمعرفة التي تنتجها الدراسات المستقبلية، والاجتهاد في تطوير مناهج وأدوات البحث في المستقبل.
- ✓ دراسة الأسس الأخلاقية للدراسات المستقبلية، وهذا أمر متصل بالجانب الاستهدافي للدراسات المستقبلية، ألا وهو استطلاع المستقبل أو المستقبلات المرغوب فيها، إذ أن تحديد ما هو مرغوب فيه يستند بالضرورة إلى أفكار الناس عن معنى الحياة وعن المجتمع الجيد، وعن العدل وغير ذلك من المفاهيم الأخلاقية والقيم الإنسانية.
- ✓ تفسير الماضي وتوجيه الحاضر، فالماضي له تأثير على الحاضر وعلى المستقبل، والكثير من الأمور تتوقف على كيفية قراءة وإعادة قراءة الماضي، كما أن النسبة الكبرى من دارسي المستقبل يعتبرون أن أحد أغراضهم الأساسية هو تغيير الحاضر وما يتخذ فيه من قرارات وتصرفات لها تأثيرها على تشكيل المستقبل.
- ✓ إحداث التكامل بين المعارف المتنوعة والقيم المختلفة من أجل حسن تصميم الفعل الاجتماعي ذلك أن معظم المعارف التي يستخدمها دارسو المستقبل من أجل التوصية بقرار أو تصرف ما هي معارف تنتمي إلى علوم ومجالات بحث متعددة لها خبراؤها والمتخصصون فيها.ولذلك يطلق على الدارسات المستقبلية وصف الدراسات التكاملية أو الدراسات العابرة للتخصصات. ولما كانت التوصية بفعل اجتماعي ما لا تقوم على المعارف العلمية وحدها، برغم أهميتها، بل يلزم أن تستدعي قيمًا أو معايير أخلاقية معنية، فإن على الدراسة المستقبلية أن تزاوج بين المعرفة العلمية والقيم.
- ✓ زيادة المشاركة الديمقراطية في تصور وتصميم المستقبل، أو دمقرطة التفكير المستقبلي والتصرفات ذات التوجهات المستقبلية، وإفساح المجال لعموم الناس للاشتراك في اقتراح وتقييم الصور البديلة للمستقبل الذي سيؤثر في حياتهم وحياة خلفهم.

- ✓ تبني صورة مستقبلية مفضلة والترويج لها، وذلك باعتبار ذلك خطوة ضرورية نحو تحويل هذه الصورة المستقبلية إلى واقع، ويتصل بذلك تبني أفعال اجتماعية معينة من أجل قطع الطريق على الصور المستقبلية غير المرغوب فيها، والحيلولة دون وقوعها.

خاتمة:

الاستشراف لا يمثل ضرورة فقط للشركات والمؤسسات، ولا يرتبط فقط بالنواحي الاقتصادية، ولكن استشراف المستقبل هو ضرورة لبناء الفرد والمجتمع وتطورهما في شتى القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية، فالمجتمع غير القادر على رسم خطوات المستقبل سيغوص في هموم الحاضر، وسينحصر في ثقافة الماضي، ومن ثم يكون التأخر رهينة، وهذا ما تبدو عليه الكثير من حالات مجتمعاتنا العربية.

وقد اعتمدت الدول المتقدمة في بناء خططها التنموية والسياسية، منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية، على الدراسات المستقبلية (الاستراتيجية)، التي تعتمد على نمط التفكير الاستراتيجي الذي يتوقع التغيرات الجذرية الحالية والمستقبلية وتأثيراتها على تطور المشروع أو البرنامج المطلوب تحقيقه على مدى فترة زمنية يتم تحديدها على أساس علاقتها بالماضي والحاضر، ومن هذه الدراسات تنشأ عدد من الحلول التي يمكن استخدام أفضلها في الخطط الرئيسية والفرعية والبديلة والطارئة بالتتالي، أي هي دراسات تعتمد مدخلاتها على التعددية في التفكير المستقبلي، وفي المجالات المستقبلية المطلوب دراستها، فتكون مخرجاتها تعددية في النتائج والحلول.

5. قائمة المراجع:

1- جروم. ن. و آخرون (2003)، مفاتيح القرن الحادي والعشرين، ترجمة : حمادي الساحل (تونس : المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون) .

2- Cornish. E.., (1977) The Study of the Future: An Introduction to the Art, and Science of Under standing and Shaping Tomorrow's World (Washington, DC: Transaction Publishers, 1977).

3- الجميل .أ،(2011) ماهية الدراسات المستقبلية الإسكندرية : وحدة الدراسات المستقبلية الإسكندرية .

4- Eleonora. M ,(2010). « the past and the possible futures of futures studies some thoughts on Zianddin Seadar's the namesoke » ,futures : vol ,n ° 42 .

6- جزهران .ج،(1999)، مستقبلية في علم السياسة الحديث : اتجاهات حديثة في علم السياسة، القاهرة : المجلس الأعلى للجامعات، اللجنة العلمية للعلوم السياسية والإدارة العامة .

7- Serdar. Z(2010) , « the Namesake : futures , futures studies : futurology ,futuristic , foresight – what's in a name » , futures , vol , n ° : 42.

8- ميشال .ج. وقيس ال (2007)، الاستشراف المستقبلي : المشاكل والمناهج (باريس : كراس ليبسور) .

11- العيسوي. إ (2000)، الدراسات المستقبلية و مشروع مصر (القاهرة : منتدى العالم الثالث).

12- عبد الفضيل. م. (1988)، "الجهود العربية في مجال استشراف المستقبل"، عالم الفكر، المجلد 18، ع. 04 (مارس).

13- Sergiev .A. (1978) ,La prévision en politique ,URSS , edition du progrés .

14- ابراهيم .س (1982) وآخرون، صور المستقبل العربي (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية).

15- "أساليب الدراسات المستقبلية :السيناريوهات و النماذج" (15 أفريل2016)، على الرابط التالي:

http://konline.com/usersdrnoshy/posts/269418.

16- حسين بوقارة . ح (21 جوان 2004)،" الإستشراف في العلاقات الدولية :مقاربة منهجية "، مجلة العلوم الإنسانية،ع. 21.

17- Richard S. (1996), New Thinking for a New Millennium (New York: Routledge).

18- محمد إبراهيم منصور (د.س.ن)، "الدراسات المستقبلية ماهيتها وأهمية توطينها عربيا"، المستقبل العربي

19- توفلر. أ (1987)، خرائط المستقبل، ترجمة أسعد صقر(دمشق : منشورات اتحاد الكتاب العرب) .